شعرية الأسلوب النثري

الخطبة الجاهلية أنموذجا

د. إسماعيل إبراهيم مصطفى برزنجي

سكول اللغات – جامعة السليمانية

مُقدِّمــة

إنَّـه تُراثٌ فَنِّـيّ اجتازَ عَقَباتٍ عَديدةً حَتَّـى وَصَل إلَينا، منهَا مَا يَتعلَّق بِالتَّفكيرِ النَّقديّ العَربِيّ عَلَى مَـرِّ العُصـور، وَمنهَـا مَا يَتعلَّقُ بِكَونِه نَوعاً أدَبيًّا أُجحِفَ بِحَقِّـه لِكَونه نَثراً خالياً مِنَ الوَزنِ والقَافيَة، علاوةً عَلَى ذَلِكَ لَـم يَلـقَ عِنايَـةَ الـرُّواة فِـي مَرحَلَـة التَّدوينِ مِثلَما لَقِيَهُ الشِّعرُ، كَمَا أنَّ وَصفَهُ بِصفَةِ الجَاهِليَّةِ صَرَف عَنهُ اهتِمامَ الكَثيرينَ، لِذلِكَ أيُّ دِراسَـةٍ لِنُصـوصِ النَّثـرِ الجَـاهِليّ تَأخَذُ مَكانَه فِي النَّقدِ الحَديث.

انطلاقاً مِن هَذه الرُّؤيةِ يُحاول هَذا البَحثُ مُعالَجَة مادَّته مُعالَجةً أسلوبيَّةً مُتَّخـذاً مِـن الشِّـعريَة الحَديثَـة بَعـضَ مفاهيمِهَـا، لِيُثبِتَ أنَّ النَّثرَ الجَاهِليَّ صِيغَ بِأُسلوبٍ شعري شَكلاً ودَلالةً مَع الإبقَاءِ علَى الخَصـائِص الجَوهَريَّـة لِجِـنسِ النَّثـرِ، أي نَثـرٌ كُتِـبَ أو قِيلَ بِأسلُوبِ الشِّعرِ، ويَتجلَّى هَذا فِي الخُطبةِ أكثَر مِن غَيرِها مِن الأنواعِ النَّثريَّة، ذَلِكَ لِمَكانةِ الخُطباءِ فِي المُجتَمـعِ الجَـاهِلي ولأنَّ نُصوصَ الخُطبَة ألصَقُ بالقَصائِد وأقرَب إلَيها، إذْ كَانَ الخُطباء يُشارِكونَ فِي الجَاهليَّةِ فِي الوُفودِ ونُصوصُ الخُطبَةِ تَضُمُّ فِي مُعظَم الأحيانِ أبياتاً مِنَ الشِّعر، وبَعضُ الخطباءِ كَانوا شُعرَاء.

وجاءَ تَقسيمُ مادةِ البَحثِ نَظراً لِمُستَوياتِ الدِّراسَةِ الأُسلوبيَّة (الصَّوتي والتَّركيبي والدَّلالي) عَلى ثَلاثةِ مَباحِـثَ، وفِي كُـلِّ مُستَوىً مِن هَذه المُستَوياتِ نَرى سِماتٍ شعريَّة فِي الخُطب الجَاهليَّة، فَفِي المَبحَثِ الأوَّل عُيِّنَ السَّجعُ والتَّكرَارُ بِوَصـفِهما عُنصُـرينِ صَوتيَّينِ يُشارِكَانِ فِي تَحقيقِ جَانبٍ مِنَ الشِّعريَّة فِي النَّثر، وفِي المَبحَثِ الثَّـانِي اتُّخِـذَت مَظـاهِرُ تَركيبيَّـةٌ مِثـلَ التَّقـديمِ والتَّـأخيرِ وإطالةِ بِناءِ الجُملةِ والتَّوازِي التَّركيبيّ لِبيانِ مَدى جَماليَّة النُّصوصِ النَّثريَّة، أمَّا المَبحثُ الثَّالثُ فَهوَ بَحثٌ عَن تَجلِّياتٍ شعريَّةٍ ذَاتِ طابَعٍ دَلالِيّ إذْ تُؤثِّر البُنيَةُ العَميقَةُ بِمعطَياتِها فِي تَشكيلِ المَلامِحِ الشِّعريَّة للنَّص.

تَوطئة

إنَّ المَناهِجَ الحَديثَةَ فِي دِراسَةِ النَّـصِّ الأدَبِي فَتَحتْ آفاقاً جَدِيدةً وَطَرائِقَ مَنهَجيَّـةً لَـم تَكُـن مَكشُـوفةَ المَعـالِمِ والغَايـات، وَقَد وَفَّرت آلياتٍ تَحليليّـةً مِن جِنسِ النُّصوص، حَيثُ دِراسَةُ اللُّغةِ بِاللُّغةِ وَمِن أجلِهَا، وَهَذا مَا أدَّى إلَى مُراجَعةِ التُّراثِ الفَنِّـي الَّـذي اعتَقَدنا أنَّ الأوائِلَ لَم يَترُكُوا لَنا شَيئاً نُضيفُهُ، بَل مَا نَقُومُ بِهِ يَدورُ فِي فَلَك أعمالِهم لَكِنْ بِتَسمياتٍ أُخرى وَمُصطَلحاتٍ مُستَجدَّة، لَكِنَّ الدَّارِسَ المُتَمعِّنَ يَرى فِي هَذه المَناهِجِ مَا يُقدِّم مُراجَعةً حَقيقيَّةً للتُراث واكتِشافاً لِعوالِمَ جَديدَةٍ فِي النُّصوص.

أمَّا الحَديثُ عَنِ النَّـثرِ بِوَصفِه جِنساً أدَبيّاً مُنفَصِلاً عَن الشِّعرِ لَهُ خَصائِصُـهُ وَمَوضُـوعاتُهُ فَـيَرجِعُ إلَـى القَـرنِ الخَـامِسِ قَبْلَ الميلاد، إذْ أقَـرَّ (جورجياس ٤٨٥–٣٧٦ق.م)(*) أدَبيَّةَ النَّـثرِ وَضَمَّـهُ إلَى الشِّعرِ بِاعتِبارِه خِطاباً جَمَاليًّا نَقِيًّـاً، ثُـمَّ شَـاعَت هَذه الفِكرَةُ بَينَ فَلاسِفَةِ اليُونانِ والنُّـقّادِ الكَلاسيكِيِّينَ حَتَّى جَاءَتِ الرُّومانتيكيَّـةُ فنَـادَت بِإلغَـاءِ الفَـوارِقِ الصَّـارِمَةِ بَـينَ الأجنَـاسِ الأدَبيَّة ومَزجِهَا، مُنذُ ذَلِك الحِينِ صَارَت قَضيةُ نَقاءِ الأجْناسِ الأدَبيَّةِ وَتَداخُلِها شَغْلَ الدَّارِسينَ[1].

(*) فيلسوف يوناني سوفسطائي صاحب كتاب (اللاوجود)، ناقشه أفلاطون في كتابه (محاورة جورجياس)، ومن أشهر معلمي الخطابة في عصره.

أمَّا في الأدَبِ العَرَبيّ فَقد كَانَ النَّـثرُ يُقَاسِمُ الشِّعرَ أدَبيَّتَـهُ ومَنزِلَتَه مُنذُ العَصرِ الجَاهِليّ، وَصَارَت لَـهُ أنْـوَاعٌ تَتجَلَّـى فـي الخُطبَةِ وَالوَصيَّةِ وسَجعِ الكَهَنةِ والأمثَالِ وَبَعضِ المُنافَرات، وقَد شَهِد اتِّساعاً في الأنوَاعِ وتَطوُّراً فـي الجَـودَةِ الأُسلوبيَّة عَلى مَـرِّ العُصورِ الأدَبيَّةِ حتَّى لَقِيَ في العَصرِ الحَاضِرِ مَكانةً أدَبيَّةً تَكادُ تُنازِعُ غَريمَهُ القَديمِ، لَكِنَّ مَـا يَلفِتُ النَّظـرَ هُـو أنَّـهُ لَـم يَلْـقَ عِنايَـةَ الشِّعرِ طَوالَ وُجودِه، وبَقِي الجِنسَ الأدبِيَّ الأدنَى مَنزِلةً منهُ، يَقُولُ د.زكِّي مُبارَك فـي مَعـرِضِ حَديثِـه عَـن مَكانَـةِ الجِنسَـيْنِ عِنـدَ النُّـقَّـاد ((فالشِّعرُ في نَظَرِ النُّقادِ مِنَ العَرَبِ أكثَرُ حَظّـاً مِنَ الفَـنِّ وَأولَـى بالنَّقـدِ والـوَزنِ، والنَّثـرُ مَهمَـا احتَفَـلَ أصـحَابُهُ بإتقَانِـه وَتَجويدِه لَم يَنَلْ مِن أنفُسِ النُّقادِ مَنزِلَة الشِّعر. ولِـذلكَ قَـلَّـت العِنايَـةُ بِتَقييـدِ أوَابِـدِه والـنَّصِّ عَلى مَـا فِيـهِ مِـن ضُـروبِ الإبـدَاعِ والابتِكارِ أو دَلائِلِ الضُّعفِ والجُمُود))[٢].

وَبَلَغَ إيثَارُ الشِّعرِ عَلى النَّـثرِ عِندَ بَعضِهِم حَـدَّ الحُكمِ المُسبَقِ وعَدَمِ النَّظرِ إلَى النَّصِّ ومَا يَحمِلُهُ مِن جَمَـالٍ أو قُـبحٍ، فَقَـد حَكَموا بالأفضَلِيَّةِ للشِّعرِ باعْتِبارِ إطْلاقِ لَفظِ الشِّعْرِ عَلَيْهِ، بِحَيثُ إذَا تَساوَى نَصَّانِ فِـي الجَـودَةِ أحَـدُهُما شِـعرٌ والآخَـرُ نَثـرٌ يَكـونُ الحُكمُ للشِّعرِ ظَاهِراً فِي التَّسميَةِ، لأنَّ كُلَّ مَنظُومٍ أحسَنُ مِـن كُـلِّ مَنثـورٍ مِـن جِنسِـه فِـي مُعتَـرَفِ العَـادَةِ كَمـا يَقـولُ ابـنُ رَشِـيقٍ (ت٤٥٦هـ)[٣]، وهَذا إجْحافٌ ظَاهِرٌ بِحقِّ نُصوصٍ نَثريَّةٍ كَثيرةٍ حَامِلةٍ لِمَظاهِرِ فَنيَّةٍ وَجَماليَّةٍ حتَّـى أكثَـرَ مِـن نُصـوصٍ حَمَلَـت اسـمَ الشِّعرِ وهِي خَالِيَةٌ مِن الجَمالِ والصُّورِ والأخيلَة.

ولَم يَكُن هَذا شأنَ النُّـقادِ وَسِمَةَ القَرنِ الرَّابِعِ الهِجريّ فَحسبُ، بَل كَانَ العَربُ يُفضِّلُ الشِّعرَ بِفِطرَتِـه وسَـلِيقَتِه حتَّـى قَبـلَ ظُهُورِ نَقدٍ مَنهَجيّ قَائِمٍ عَلى أُسُسٍ فَنيَّةٍ وتَعليلاتٍ عِلميَّة، فالجَاهِليُّونَ كَانوا يُعطُونَ لِشُعرَائِهم مَنزِلةَ الأنبِياء، وَصَارَ الشِّعرُ دِيوانَهُم وسِجِلَّ مَفاخِرِهِم وتأريخَهُم وحَامِلَ عَاداتِهِم وتَقَالِيدِهِم، بِحيثُ اكتَسحَ المَجـالاتِ الأُخـرَى جَمِيعَهـا وصَـارَ هُـوَ المُؤسَّسـةَ الثَّقافيَّـةَ العَربيَّة[٤].

هَذَا فِي مُقابِلِ النَّثرِ يَكونُ الشِّعرُ أفضَلَ، أمَّا دَاخِلَ إطَارِ الشِّعرِ نَفسِـه فَنَجِـدُ تَفَاوتاً بَينَ مَا يَنتَمِي إلَى عَصرٍ قَديمٍ وآخَـرَ حَدِيثٍ، وَبَينَ مَا يُسمَّى قَصيدَةً وَأُخرَى مَقطُوعةً أو أُرجُوزَةً، فَقَد ظَلَّت القَصيدَةُ النَّوعَ المُفضَّـلَ لَـدَى الشُّـعرَاءِ والنُّـقَّادِ عَلـى حَـدٍّ سَواءٍ، وَكُتُبُهُـم مَليئَةٌ بِآراءٍ من هَذا القَبيل[٥]، ولَيسَتِ العُصورُ الأدَبيَّـةُ مُتَسـاوِيةً فـي نَظَـرِ النُّـقَّادِ والشُّعراء، بَـل كَـانَ الحَمَـاسُ لِلقَديمِ أقوَى والتَّفضِيلُ كَانَ دَائِماً لِلأقدَمِ حَتَّى أنَّ القَصيدَةَ الجَاهِليَّـةَ ((كَـادَت تَكـونُ المِقيَـاسَ الوَحيـدَ وَالأُنمُـوذجَ الأمثَـلَ الـذي اتَّخَذَهُ النُّـقَّادُ واتَّبَعُـوهُ فِي كَلامِهِم عَلَى القَصيدَةِ وَبِنائِها مِن نَاحيَةٍ، وَفِي أحكَامِـهِم عَلَى الشِّعرِ وَالشُّعرَاءِ فِي مُختَلَفِ العُصورِ مِـن نَاحِيةٍ أُخرَى إذْ لَم يَكتَفِ مُعظَـمُ النُّـقَّادِ بِتَفضِيلِ القَصيدَة، بَل رَاحُوا يَدعُونَ إلَى الالتِزامِ بِمَنهَجِ القَصيدَةِ الجَاهِليَّة))[٦].

انطلاقاً مِن هَذا الفَهمِ لِمَكانةِ الشِّعرِ، ومِنَ التَّمييزِ بَينَه وبَينَ النَّثرِ والنَّظَرِ إلَى الثَّانِي نَظرةً دونيَّةً وإنْ تَمتَّـعَ بالفَنِّيـةِ أكثَـرَ مِن بَعضِ النُّصوصِ الشِّعريَّة، لَم يَبقَ أمَامَ النَّثرِ طَرِيقٌ إلاَّ التَّحلِّي بِبعضِ السِّماتِ الشِّعريَّة، ولَم يَرَ النَّـاثِرونَ سَـبيلاً للوُصـولِ إلَـى

١ . ينظر: ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي، د.أحمد محمد ويس (منشورات وزارة الثقافة – سوريا، ٢٠٠٢)، ص٥–٩.

٢ . النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د.زكي مبارك، ضبط وتقديم: عثمان غزال (دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠١٠)، ص٢٧.

٣ . ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٦)، مج١، ص٢٩.

٤ . ينظر: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله الغذامي (المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥)، ص٩٨.

٥ . ينظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، د.يوسف حسين بكار (دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٢)، ص٢٥–٢٨.

٦ . المصدر نفسه، ص٢٨.

مُتلَقِّيهم سوَى انتهاجِ مَنهَجِ الشُّعراءِ، فَصارَ النَّثرُ يأخُذُ بَعضَ التَّقنياتِ التَّعبيريَّـةِ والخَصـائصِ الأُسـلوبيَّةِ مِـن الشِّـعرِ تَحقيقـاً لِمـا يَقولُ د.الغَذَّامي: إذَا أرَادوا إحسَاناً للنَّثرِ شَعرَنوهُ بِسِماتِ الشِّعرِ حَتَّى يَحظَى بِقَبولِ الجَميعِ[٧].

المبحث الأول
البِناءُ الصَّوتي

البِناءُ الصَّوتي فِي الشِّعرِ نَوعٌ مِنَ الانزِياحِ الخاصّ بالكَيفيَّـةِ التي تَترتَّبُ بِها الأصواتُ دَاخِلَ النَّص، وفِي هَذا لا تَختلِـفُ القَصيدَةُ القَديمَة عَن الحديثَةِ كَثيراً، بَل مَا يُغيِّر المَفهُومَ هُو زَاويَة النَّظَر النَّقديَّة لَهُ حَيثُ تَختلِفُ نَظرَةُ المُحدَثينَ عَن نَظرَة القُدَماءِ فِي مَسألةِ الشِّعريَّةِ وخَصائصِهَا.

فالبِناءُ الصَّوتـي عِنـدَ القُدَمـاءِ فِي الشِّعرِ يَتمثَّلُ فِي الوَزنِ والقَافيةِ كَونَهُما حدَّينِ فَـاصِلَيـنِ بَينَـه وبَيـنَ النَّثـرِ، وحَـدُّ الشِّعرِ عِندهُم كَما يَقُولُ قُدَامَةَ بنُ جَعفَر (ت٣٣٧هـ) إنَّـهُ ((قَولٌ مَـوزُن مُقَـفـىً يَدُل عَلَى مَعـنَـىً))[٨]، وَهذَا يَعنِي أنَّـه نَثرٌ أُضِـيفَ إلَيـهِ الوَزنُ والقَـافيةُ، وعِندَما يَتجرَّدُ مِنهُـما يَتحـوَّل إلى النَّثرِ مـرَّة أُخرَى.

لَكِـنَّ المُحدَثيـنَ فَـرَّقُوا بَينَ البِناءِ الصَّوتِي الخَاصّ المُتمَثِّل فِي الوَزنِ والقَـافيةِ وَبَينَ بِنـاءِ نِظـامٍ صَـوتِيّ عَـامّ لِلنتـاجِ الفَـنِّي، إذْ إنَّ الوَزنَ عِندَهُم يَتَـأسَّسُ عَلَى التَّفاعيلِ التي تَحكُمُهَا الحَركَاتُ والسَّكَنات بِطَرِيقَـةٍ مُنتَظَمـةٍ، حَيثُ يَشتَمِل إلَـى جَانـبِ الوَزنِ عَلَى أنظمةٍ صَوتيَّـة أُخرَى تَعتَمِد عَلى الكَـمِّ والنَّوعِ، لأنَّـهُ خَاصيَّـةٌ جَوهَريَّة فِـي الشِّـعرِ نَـابِعٌ عَـن طَبيعَـةِ التَّجرِبَـة الشِّـعريَّة ذَاتِها، وَهُو الأمرُ الَّذي يَخلُق تَفاعُلاً عُضوِيًّا بَينَ النِّظَـامِ الصَّوتِيّ والنِّظامِ اللُّغوي فِي القَصيدَةِ[٩].

مِن هَذا المُنطَـلَقِ يُمكِنُنـا تَحديدُ عِـدَّةَ ظَواهِرَ إيقَاعيَّـةٍ دَاخِـلَ النُّصـوصِ النَّثريَّـةِ وَهِـي مِـن خَاصيَّةِ الشِّـعرِ، لَكِـنَّ النَّقـدَ القَديمَ لَم يَلتَفِت إلَيهَا باعتبارِهَا خَارِجةً عَن دَائِرَةِ الوَزنِ والقَـافيةِ، وبِما أنَّ النَّثرَ لَم يَستَطِع اجْتِيازَ حُـدودِ الشِّـعريَّةِ القَديمَـةِ حَـاولَ التَّـشَبُّثَ بِهَذهِ المَظاهِرِ مَا يُقِـرُّ ضِمنـياً بِأنَّـه مِن خَواصّ الشِّعرِ الثَّانَويَّة.

وإذَا بَحَثنَا عَن مَفهُومِ الإيقَاعِ الدَّاخِلِيّ وَجَدنَـاهُ حَـديثَ الظُّهـورِ كَمُصـطَلحٍ فَحَسـب، لَكِـنْ بِوَصـفِه مفهُومـاً مُشـارِكاً فِـي تَحقيقِ الشِّعريَّـةِ قَديمٌ يَرجِعُ إلَى كِتَابـاتِ القُـدَمـاءِ فِـي البَلاغَـةِ بِاصـطِلاحَاتٍ أُخـرَى، مِثلَمـا وَرَد عِنـدَ الجَـاحِظِ (الرَّونَـق والسَّـلاَمَةُ والطَّلاوَة والحَلاوة)[١٠] لِيُبيِّنَ سَلامَةَ الإيقاعِ فِي أيّ نَصّ أدَبيّ، وهَذا يُؤكِّـد وُجودَ وَعِي مُبَـكِّر لَدَى القُدَمـاءِ بِـأنَّ الإيقَاعَ لايَقِـف عِنـدَ حَـدِّ الوَزنِ والقَافيةِ فِي النَّصّ، وإنَّـمَا هُناكَ عَناصِرُ أُخرَى تُساعِدُ عَلَى تَشكِيلِه، وَقَد جَسَّد النَّـثرُ هَذهِ العَناصِرِ عِوَضاً عَـن فُقـدَانِ الوَزنِ، بِمَعنىً آخَر، أنَّ الشِّعرَ يَقومُ عَلى إيقَاعِ الفِقْرةِ أو السَّطرِ لأنَّـه يَستَنِد بِـقُوةٍ إلَى الفَصلِ والوَصلِ، فَقَد كَانَت مَبَـادِئ الفَصـلِ والوَصلِ فِي العَروضِ الخَليليّ تَقُوم عَلى طُولِ التَّفعيلاتِ وَحُـدودِهَا، وَعَلَـى الشَّـطرِ ثُـمَّ عَلـى السَّـطْرِ، وَالشَّـطْرِ والسَّـطرُ مُحـدَّدانِ بِالقَافيةِ وَنِهايَةِ البَيتِ، أمَّا إيقَاعُ النَّـثرِ فَيَقومُ عَلَى فَصلٍ وَوَصلٍ مِن نَمَطٍ مُخْتَلِـفٍ يُنشِؤُهُ البُعدُ الدَّلالِيّ المُتَعلِّـقُ بِامْتِـدادِ الـنَّفَس، والضَّغطِ النَّابِعِ مِن تَمَوجاتِ التَّجرِبَةِ والقِراءَة، والحَركَةِ الدَّاخِليَّةِ لِلَّهجَةِ الشِّعريَّة[١١].

٧ . ينظر: النقد الثقافي، ص٨٨.

٨ . نقد الشعر، تحقيق وتعليق: د.محمد عبدالمنعم خفاجي (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ص٦٤.

٩ . ينظر: قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، عبدالعزيز الموافي (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤)، ص٢١.

١٠ . ينظر: البيان والتبيين، تحقيق: موفق شهاب الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨)، ص١٧٤.

١١ . ينظر: في البنية الإيقاعية للشعر االعربي، د.كمال أبو ديب (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤)، ص٤٦.

إذاً، يَعتَمد النَّـثرُ عَلى المُوسيقَى الدَّاخليَّة الَّتي تَنبَع مِـن اختِيـارِ الشَّـاعِر لِلكَلِمـاتِ وَمَـا بَينَهـا مِـن تَـلاؤُمٍ فِـي الحُـروفِ والحَرَكاتِ وَهِي تَختَلفُ عَن المُوسيقَى التي يُحَقِّـقُها الوَزنُ والقَافيَة، وَتَتضَافَر في خَلقِها عَناصرُ شَتىً يَشتَرِك فِيهَا الشِّـعرُ والنَّـثرُ، وَهَذِه العَناصِر كَثيرَةٌ نَابِعةٌ عَن تَفجِيرِ الطَّاقاتِ الإيقَاعيَّة فِي اللُّغَة[١٢] وأبرَزُها السَّجعُ والتَّكرَار.

ـ **السَّجعُ:** أوَّل المَظاهِرِ التي اعتَمَدها النَّـثرُ القَديمُ لِيُعوِّضَ بِهَا حِرمَانَه عَنِ الشِّـعريَّة، وهَـذا مَـا يُؤكِّـدهُ قَـولُ السَّـكَّاكيّ والقَزوينِيّ فِي تَعريفِ السَّجعِ الذي ((هُو تَواطُؤُ الفَاصِلَتينِ مِن النَّـثرِ عَلَى حَرفٍ وَاحِـد وَهـذَا مَعنَـى قَـولِ السَّـكَّاكِي الأسـجَاعُ مِـن النَّثرِ كَالقَوافِي فِي الشِّعرِ وَهُو ثَلاثَة أضرُبٍ: مُطرَّف ومُتَوازٍ وتَرصيعٌ))[١٣].

وَوَاضِح أنَّ السَّجْع يُؤدِّي الوَظِيفةَ نَفسَهَا التي تُؤدِّيها القَافيَةُ فِي الشِّعرِ بِطَرِيقةٍ مُختَلِفةٍ ونِظَامِ تَرتيبٍ مُغايرٍ، لَكِنَّ التَّعقِيدَ الذي اتَّخذَه الشُّعرَاء فِي بِناءِ القَافيَة لَم يَتَّخِذهُ النَّاثِرونَ فِي فَواصِلِهم، أمَّا مِن حَيثُ المُوسِيقَى فَيبدُو كَـأنَّه النِّهايَـة الطَّبيعيَّـةُ التي تَصِل إلَيهَا المَوجاتُ التَّعبيريَّة المُتدَفِّـقةُ ذَاتُ الحَرَكَاتِ والجَيَشانِ الصَّوتي.

والسَّجعُ عَلَى أنواعٍ كَما وَردَعندَ عُلَماءِ البَلاغَة:

ـ السَّجعُ المُرصَّعُ: وَهُو تَناسُب بَينَ ألفَاظِ الفَصلَينِ فِي الوَزنِ الصَّرفِيّ والحَرفِ الأخِيرِ[١٤]، وَقَـد وَرَد فِـي خُطبَـةِ (هِنـدٍ بِنْت الخُسِّ الإيَادِيَّة):

((انْظُرْ رَمْـكَـاءَ جَسِـيمَـةً، أو بَيْـضَاءَ وَسِـيمَـةً، فِي بَيتِ جِدّ، أو بَيتِ حَـدّ، أو بَيتِ عِـزّ))[١٥].

كَمَا يَبدُو أنَّ الألفَاظَ تَتنَاسَبُ فِي الـوَزنِ الصَّـرفِيّ والحَـرفِ الأخِـيرِ، فَكُـلٌّ مِـن (رَمكَـاء) وَ(بَيضَـاء) عَلَـى وَزنِ (فَعـلاَء) وَتَنتهِيانِ بالهَمزَةِ، وَكَذلك نَرَى تَناسُباً بَينَ (جَسِيمَة) و(وَسِيمَة) عَلَى وَزنِ (فَعِيلَة) وَتَنتَهِيانِ بِالمِيمِ، وَأكثَر مِن ذَلك هُنـاكَ أصـوَاتٌ أُخرَى تُشارِكُ فِي تَرصِيعِ هَذِه الكَلِمات وَهِي مُشتَرِكَةٌ بَينَهَا مِثلَ (اليَاء والسِّينِ والألِف)، وَهَذا يَنطَبِـقُ أيَضـاً عَلَـى (جِـدّ) و(حَـدّ) عَلَى وَزنِ (فَعْل) والحَرفُ الأخِيرُ فِيهِما (الدَّالُ).

ـ السَّـجْـعُ المُـطرَّفُ: هُو اتِّفَـاقُ الكَلِمتَينِ الأخِيرتَينِ مِنَ الفَصلَينِ فِي الحَرفِ الأخِيرِ واختِلافُهُما فِي الوَزنِ[١٦].

وَقَـد وَرَد هَذَا النَّوعُ فِي خُطبَةِ (خَالِد بنِ جَعفَرِ الكِلابِيّ) أمَامَ كِسرَى:

((وَقَـد أوفَـدنَا إلَيكَ مَلِكُـنَا النُّـعمَـانُ، وَهوَ لَكَ مِنْ خَيرِ الأعوَانِ، وَنِعْمَ حَامِلُ المَعـرُوفِ والإحسَـانِ، أنْـفُسُنَا بِالطَّاعَـةِ لَـكَ بَاخِـعَة، وَرِقَـابُنَا بِالنَّـصِيحَـةِ خَاضِـعَةٌ، وَأيدِيْنَـا لَكَ بِالوَفَاءِ رَهِينَةٌ))[١٧].

فَقَد اتَّفقَتِ الكَلِماتُ (النُّعمانُ) و(الأعوَانُ) و(الإحسَـانُ) فِـي الحَـرفِ الأخِـيرِ (ن)، لَكِنَّـها اختَلَفَت فِـي الـوَزنِ الصَّـرفِيّ، فَالأوَّلُ عَى وَزنِ (فُعلاَن) وهُو اسمُ عَلَمٍ لِمُذكَّرٍ، والثَّانِي عَلَى وَزنِ (أفعَال) جَمعُ تَكسِيرٍ لِـ(عَون)، والثَّالِثُ عَلَى زِنَةِ (الإفعَال) مَصـدَرٌ لِثُلاثِي مَزِيدٍ فِيهِ بِحَرفٍ وَاحِد.

ـ السَّجعُ المُتَوازِي: هُو اتِّفاقُ الكَلِمات الأخِيرَةِ فِـي الوَزنِ والحَـرفِ الأخِيـر[١٨]، كَقَولِ (عَلقَمَـة بـنِ عُلاثَـةَ العَـامِرِيّ) فِـي خُطبَتِـهِ أمَام كِسْـرَى:

---

١٢ . ينظر: نظرية الإبداع في النقد العربي القديم، عبدالقادر هني (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٩)، ص٢٤٨.

١٣ . الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣)، ص٢٩٦.

١٤ . ينظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)، ص١٩٠.

١٥ .الأمـالـي، أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، مج٢، ص٢٦٠.

١٦ . ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص٢٩٦.

١٧ . العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث (دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،الطبعة الثالثة، ١٤٢٠–١٩٩٩)، مج١، ص٢٧٣.

((...إنَّ للأقَاويلِ مَنَاهِجَ، وَلِلآرَاءِ مَوَالِجَ، وَلِلعَويصِ مَخَارِجَ، وَخَيرُ القَولِ أصْدَقُهُ، وَأفضَلُ الطَّلَبِ أنجَحُهُ))[١٩].

فَقَد اتَّفَقت هُنا (مَناهِجُ ومَوَالِجُ ومَخَارِجُ) في الحَرفِ الأخيرِ (ج) والوَزنِ الصَّرفيّ (مَفَاعِل) وَهوَ صِيغَةُ مُنتَهَى الجُمُوعِ وَمَمنُوعٌ مِنَ الصَّرفِ، لِذَلِكَ تُحرَّكُ في النَّصّ بِالفَتحِ بَدلاً مِن التَّنوينِ، لأنَّ الأوَّلَ (مَنَاهِج) وَقَعَ اسماً لـ(إنَّ) وَهوَ مَنصُوبٌ وَعُطِفَ عَلَيهِ كُلٌّ مِن (مَوَالِج ومَخَارِج) واتَّفَقَت الحَركَةُ الإعرَابيَّة أيَضاً بَينَهَا.

وَكَذلِكَ الحَالُ في (أصدَقُهُ) و(أنجَحُهُ)، فَهُما عَلَى وَزنِ (أفْعَل) لِلمُبالَغَةِ مُضَافَينِ إلَى (الهَاء) العَائِدَة إلَى الغَائِب، وَصَارَبِذَلِك اتِّفاقٌ في الحَرفِ الأخيرِ بَينَ الكَلِمَتَينِ.

وَإذَا نَظَرنَا إلَى هَذهِ الأنوَاعِ الثَّلاثَة مِنَ السَّجْعِ مِن مَنظُورٍ إيقَاعِيّ، فَإنَّ النَّوعَ الأوَّلَ يَبدُو أكثَر إيقَاعِيًّا وانسِجَاماً، لأنَّ الأنمَاطَ المُتَكرِّرَة تَتَنوَّعُ وَتَأتِي أكثَرَ ممَّا يأتِي في الأنوَاعِ الأُخرَى، وَهَذا يُشَكِّل إيقَاعاً دَاخلِيًّاً بَينَ الكَلِمَاتِ الوَارِدَةِ في المُتَتَالِيَاتِ اللُّغَويَّة، وَلَيسَ الأمرُ مَقصُوراً عَلَى الكَلِمَةِ الأخِيرَةِ في الفَواصِل، وَكَذلِك السَّجعُ المُتَوازِي يُحدِثُ إيقَاعاً أبرَزَ مِنَ المُطرَّف، لأنَّ الحَرفَ الأخِيرَ يَأخُذُ سَنَداً مِنَ الوَزنِ الصَّرفِيّ المُكَرَّرِ في البُنيَةِ الإيقَاعِيَّة المُتَشكِّلة، وَهَذهِ السِّمَةُ لاتُوجَدُ في السَّجعِ المُطرَّف.

ـ التَّكرَار: يُعدُّ التَّكرَارُ في نَظَرِ النُّقادِ والدَّارِسينَ تَقنيَّةً أُسلُوبيَّة تُشيعُ في النَّصّ حَركَةً مَلحُوظَةً تَمتَازُ بِالعُذُوبَةِ والفَنيَّة والجَماليَّة المُطلَقَة، إذْ يَتجَاوَز بُنيَتَه اللَّفظيَّة إلَى إنتَاجِ فَوائِدَ وَمَرامِيَ جَدِيدةٍ دَاخِلَ أُتُونِ العَمَلِ الفَنِّي، فَيُحدِث فيهِ جَلَبَةً وَمُوسيقىً بِوَسَاطَةِ استِحداثِ عَناصِرَ مُتَمَاثِلةٍ، كَمَا يُعدُّ التَّكرَارُ مُرتَكَزَ الإيقَاعِ بِجَمِيعِ صُوَرِهِ وَيَعمَلُ عَلَى تَوطِيدِهِ وَتَمكِينِهِ[٢٠]، وهوَ ظَاهِرةٌ تُنَظِّم الكَونَ وَالوُجودَ وَالطَّبيعَةَ وَجِسمَ الإنسَانِ قَبلَ أن تَكونَ ظَاهِرةً في الفُنُونِ المُختَلِفة.

أمَّا في الأدَبِ فَيُؤدِّي دَوراً جَمالِياً مُهمَّاً يُنَسِّق الظَّواهِرِ المُكرَّرةَ مَعَ مُجمَلِ النَّصّ، بِحَيثُ لاَ يُمكِنُ النَّظَرِ إلَيهِ عَلَى أنَّه مُنفَصِل عَنِ المَعنَى العَامِّ أو عَدُّه ظَاهِرةً اعتِباطيَّة، فَلا يُمكِنُ النَّظَرُ إلَى التَّكرَارِ عَلَى أنَّهُ ألفَاظٌ مُبَعثَرةٌ غَيرُ مُتَّصِلةٍ بِالجَوِّ العَام للنَّصّ الشِّعرِيّ، بَل يَنبَغِي أن يُنظَرَ إلَيهِ عَلَى أنَّه عُنصُر فَعَّالٌ في تَحقِيقِ إيقَاعٍ من نَمَطٍ مُعيَّنٍ دَاخِلَ النَّصّ[٢١]، ويَقولُ د.محمد مفتاح ((إنَّ تَكرَارَ الأصوَاتِ والكَلِمَاتِ والتَّراكِيبِ لَيسَ ظَرورِياً لِتُؤَدِّي الجُمَلُ وَظِيفَتَهَا المَعنَويَّة والتَّداوليَّة، وَلَكِنَّهُ شَرطُ كَمَالٍ أو مُحسِّنٌ أو لَعِبٌ لُغَوي))[٢٢]، ولَيسَ هَذا مُقتَصِراً عَلَى الشِّعرِ فَحَسب، بَل يُمكِنُ لِلنُّصوصِ النَّثريَّة أن تَتَأسَّس عَلَى ظَاهِرةِ التَّكرَارِ كَشَرطٍ لِتَحقِيقِ الجَماليَّة و ((مَعَ ذَلِك فَإنَّ التَّكرَارَ يَقومُ بِدَورٍ كَبِيرٍ في الخِطَابِ الشِّعرِيّ أو مَا يُشبِهُه مِن أنوَاعِ الخِطَابِ الأُخرَى الإقنَاعيَّة))[٢٣].

---

١٨ . ينظر: الإيضاح، ص٢٦٩.

١٩ . العقد الفريد، مج١، ص٢٧٣، وبلوغ أرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الآلوسي، تحقيق: محمد بهجة الأثري (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢)، مج١، ص١٥٥.

٢٠ . ينظر: نسيج التكرار بين الجمالية والوظيفة في شعر الشهداء الجزائريين، د.عبداللطيف حني (مجلة علوم اللغة العربيو وآدابها، جامعة الوادي، الجزائر، العدد٤، مارس،٢٠١٢)، ص٧.

٢١ . ينظر: قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، د.موسى ربابعة (دار الكندي للنشر والتوزيع ـ إربد, ٢٠٠١)، ص١٥.

٢٢ . في الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، (المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، ط٤، ١٩٩٢)، ص٣٩.

٢٣ . المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وَلأنَّ هَذه الظَّاهرةَ كَانَت تُضفي عَلَى النُّصوص الشِّعريَّة قَدراً كَبيراً منَ الجَماليَّة والشِّعريَّة خُصُوصاً في الشِّعر القَديم سَعَى النَّاثرونَ إلَى تَجسيدِها في نُصوصهم النَّثريَّة لتَستَوحي جَانباً من جَماليَّة الشِّعر، لأنَّهُ أحَد أهمِّ الأساليب التَّعبيريَّة التي تُعينُ مُنتجَ النَّصِّ عَلَى تَأكيد كَلامه والتَّركيز عَلَى أفكَاره[٢٤].

والتَّكرَارُ يَتمَظهَر في الخُطَب الجَاهليَّة بأشكَال عدَّة:

ـ التَّكرَارُ الاستهلاليّ: ظَاهرةٌ بَارزةٌ في الشِّعر القَديم وَهوَ تَكرَار كَلمةٍ وَاحدةٍ أو عبارَةٍ في أوَّل الأبيَات، قَد تَكونُ اسمَ المَحبوبَة أو شَخص أو مَكانٍ مُعيَّن، ويَكشفُ هَذا النَّوعُ عَن ((فَاعليَّةٍ قَادرةٍ عَلَى مَنح النَّصّ الشِّعريّ بُنيَة مُتَّسقةً إذْ إنَّ كُلَّ تَكرَارٍ من هَذَا النَّوعِ قَادر عَلَى تَجسيد الإحسَاس بالتَّسَلسُل والتَّتابُع الشَّكليّ يُعينُ في إثَارَة المُتوَقَّع لَدَى السَّامع، وَهَذا التَّوَقُّع من شأنه أن يَجعَلَ السَّامعَ أكثَرَ تَحفُّزاً لسمَاع الشَّاعر والانتباه إلَيه))[٢٥].

وَقَد بَثَّ الخُطَباءُ الجَاهليُّونَ كَلماتٍ وعباراتٍ في خُطَبهم تُجسِّدُ هَذه الظَّاهرَة، وتُشكِّلُ حَالةً إيقَاعيَّة مُتَّسقةً بحَيثُ يَشعُر القَارئ عندَ قراءَتها بنَوعٍ منَ الانسجام والتَّماسُك الإيقَاعيّ، وَقَد وَرَدت في خُطبَة (النُّعمَان بن المُنذر) أمَامَ كِسْرَى كَلمَة (أمَّا) في مُستَهَلِّ كُلِّ قطعَةٍ أو فقْرةٍ وَهوَ يَتحدَّث عَن فَضَائل العَرَب:

((أمَّا أُمَّتُكَ أيُّها المَلكُ فَلَيسَت تُنازَعُ في الفَضل....)).

((فَأمَّا عِزُّها ومَنَعَتُها فَإنَّها لَم تَزَل مُجاورَةً لآبَائكَ الذينَ دَوَّخُوا البلادَ...)).

((وَأمَّا حُسنُ وُجُوهها وَألوَانهَا فَقَد يُعرَفُ فَضلُهُم في ذَلك عَلَى غَيرِهم....)).

((وَأمَّا قَولُكَ إنَّ أفضَلَ طَعَامهم لُحُومُ الإبْلِ ـ عَلى مَا وُصفَت منهَا ـ فَمَا تَركُوا مَا دُونَهَا إلاَّ احتقَاراً لَها، فَعَمَدُوا إلَى أجَلِّهَا وَأفضَلهَا))[٢٦].

وكَذلك تَتكرَّر عبارَةُ (أيُّها النَّاسُ) في كَثيرٍ من الخُطَب حَيثُ صَارَت نَمَطاً خَاصًّا في الاستهلال، ومِثالُ ذَلك مَا وَرَد في خُطبَة (هَاشم بن عَبد مَنَافٍ) حَيثُ دَعَا قُرَيشاً وَخُزاعَةَ إلى طَاعَته:

((أيُّهَا النَّاسُ، نَحنُ آلُ إبرَاهيمَ وَذُرِّيَّةُ إسمَاعيلَ، وَبَنُو النَّصر بن كِنَانَةَ، وَبَنُو قُصَيّ بن كِلابٍ، وَأربَابُ مَكَّةَ، .....أيُّهَا النَّاسُ، الحِلْمُ شَرَفٌ، والصَّبرُ ظَفَرٌ، وَالمَعروفُ كَنزٌ، وَالجُودُ سُؤدُدٌ...))[٢٧].

ـ تَكرَار الحَرف: قَد تُهَيمنُ حُروفٌ صَوتيَّاً عَلَى بُنيَة المَقطَع في النَّص تُحدثُ دَلالاتٍ مُعيَّنةً أو تُشيرُ إلَى حَالةٍ نَفسيَّة لَدَى مُنتجِ النَّص حينَ عَبَّر عَن البُنيَة الدَّلاليَّة العَميقَة المُكوِّنة في ذهنه، وَلهذَا التَّكرَار إلَى جَانب هَذه الدَّلاَلاَت وَظيفةٌ إيقَاعيَّة شَكليَّة، بحيثُ نَشعُرُ بتَردُّداته وَوَقفَاته، وَمِثالُ ذَلكَ مَا وَرَد في خُطبَة (عَبدالمُطلب بن هَاشم)، حَيثُ يُهنِّئ فيها سَيفَ بنَ ذي يَزنٍ باسترداد مُلكه منَ الحَبَشة، إذْ هَيمَنَت حُروفُ الحَلق عَليهَا:

((إنَّ اللَّه تَعالَى – أيُّها المَلك– أحَلَّكَ مَحَلاً رَفيعاً، صَعباً مَنيعاً، بَاذخاً شَامخاً، وَأنبَتَكَ مَنْبَتاً طَابَت أرُومَتُهُ وَعَزَّت جُرثُومَتهُ، وَثَبَتَ أصلُهُ، وَبَسَقَ فَرعُهُ....))[٢٨].

٢٤ . نسيج التكرار بين الجمالية والوظيفة، ص٩.

٢٥ . قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، ص١٥.

٢٦ . العقد الفريد، مج١، ص٢٦٦ –٢٧٠، وبلوغ الأرب، مج١، ص١٤٨–١٥١.

٢٧ . بلوغ الأرب، مج١، ص٣٢٢.

٢٨ .العقد الفريد، مج١،ص٢٠٧.

وَلِهَيمَنةِ هَذهِ الحُروفِ عَلاقَةٌ بِالمَقَامِ وَنَفسيَّةِ الخَطيبِ، والمَقَامُ هُو استِردَادُ المُلْكِ بِالقُوَّةِ واعتِلاءُ العَرشِ جَهراً بَعدَ نَصرٍ، وَأمَّا نَفسيَّةُ الخَطيبِ فَهيَ حَالةُ الفَرَحِ والانبِهارِ التي غَطَّتهَا نَتيجَةَ النَّصرِ، لِذَلكَ انتَشَرَت هَذهِ الحُروفُ فِي الخُطبَةِ فَهْيَ تَتميَّزُ بِصفاتِ الاستِعلاءِ والانفتاحِ والجَهرِ، والنُّطقُ بِهَا يَملأُ الفَمَ، بِذَلكَ أحدَثَت إيقَاعاً عالياً ذَا رَنَّاتٍ مُوسيقيَّةً بارِزةً.

ـ تَكرَارُ الكَلمةِ: يُعَدُّ تَكرَارُ الكَلمةِ نُقطَةً ارتِكَازيَّةً أسَاسيَّةً لِتَوالُدِ الصُّوَرِ والأحدَاثِ وَتَنَامي حَركَةِ النَّص، لِذَلكَ تَبقَى الكَلمةُ جُزءاً أسَاسيَّاً فِي الصُّورَةِ الفَنِّيَّةِ التي لاَ يُمكنُ تَجَاهُلُها[٢٩]، وَلِهَذا التَّكرَارِ مِنَ القِيمَةِ السَّمعيَّةِ مَا هُو أكبَرِ مِمَّا هُو لِتَكرَارِ الحَرفِ الوَاحِدِ فِي الكَلامِ.

وَالكَلمةُ إمَّا تَكونُ اسْماً يُصبِحُ مِحوَرَ الاهتِمامِ والتَّركِيزِ أو تَكونُ فِعلاً يُؤكِّدُ عَلَى زَمَنٍ مُعيَّنٍ، وَيُلحَظُ هَذا النَّوعُ فِي الخُطبَةِ المَذكُورَةِ لِعَبدِالمُطَّلبِ بنِ هَاشِم:

((... سَلَفُكَ خَيرُ سَلَفٍ، وَأنتَ لَنَا بَعدَهُمْ خَيرُ خَلَفٍ، وَلَنْ يَهلِكَ مَن أنتَ خَلَفُهُ، وَلَن يَخمُلَ مَنْ أنتَ سَلَفُهُ، نَحنُ أيُّهَا المَلِكُ أهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَذِمَّتُهُ....))[٣٠].

عِندَ قِرَاءةِ هَذَا النَّص نَشعُرُ بِحَركيَّةٍ وَنَوعٍ مِنَ الإيقَاعِ الدَّاخِلِيّ، مِن تَكرَارِ خِلالِ كَلِمَتَيْ (سَلَف) و(خَلَف)، وَإقَامَةِ عَلاَقَةِ الطِّبَاقِ بَينَهُمَا، لأنَّ الطِّبَاقَ يَخلُقُ فِي النَّصِّ نَوعاً مِنَ التَّعالُقِ بَينَ الكَلِماتِ يَقُومُ عَلَى التَّكرَارِ المُتغيِّر، فَضلاً عَن اشتِراكِ اللَّفظَينِ فِي حَرفَيْنِ مِن مَجمُوعِ ثَلاثةِ حُروفٍ.

وَمِنَ اللاَفتِ أنَّ هَذهِ السِّمَةَ الإيقَاعيَّةَ لاَ تَتَحقَّقُ فِي جَمِيعِ النُّصوصِ النَّثريَّةِ ، بَل هِي خَاصَّةٌ بِمواطِنَ أرَادَ الخَطِيبُ أن يُبدِعَ فِيهَا وَيُعطِي جَماليَّةً شعريَّةً لِكَلامِه، فَهِي خَاصيَّةٌ شِعريَّةٌ استَعارَهَا النَّثرُ لِرَفعِ المُستَوى الفَنِّي وَسُلوكِ مَسلَكِ الشِّعرِ فِي الأُسلُوبِ والصِّيَاغَةِ الفَنِّيَّةِ لِلنُّصوص.

المَبحَثُ الثَّاني
البِنَاءُ التَّركِيبيّ

لاَشَكَّ أنَّ مَا يُمَيِّزُ الخِطَابَ الشِّعرِيّ مِن غَيرِهِ مِنَ الخِطابَاتِ اعتِمادُهُ عَلَى بِنَاءٍ تَركِيبِيّ إبدَاعِي يَخرِقُ الشَّاعِرِ فِيهِ القَواعِدَ والأقيسَةَ التي تَحكُمُ صِياغَةَ الأسَاليبِ التَّعبِيريَّةِ الأُخرَى، فَهوَ يَتَّخِذ إجرَاءاتٍ أُسلُوبيَّةً تَرفَعُ مِن مُستَوى تَعبِيرِهِ وَتَملَؤهُ إيحَاءً وتَكثِيفاً، وَتُعطِيهِ بُعداً فَنيَّاً غَيرَ مَألُوفٍ فِي الكَلامِ العَادِيّ، فَعَلَى مُستَوى العَلاقَةِ الدَّاخِليَّةِ فِي التَّراكِيبِ الشِّعرِيَّةِ ((تُشكِّلُ مَواقِعُ العَناصِرِ المُكَوِّنةِ لِلجُملَةِ بُؤرَةَ المُعطَى الدَّلاَلِيّ وَالفَنِّي فِي الجُملَةِ وَفِي النَّصّ، فَمِنهُ نَقرَأ التَّركِيبَ النَّحوِيَّ (صُورةُ النَّحو) لِنُلاحِظ الأثَرَ الجَماليّ الذي يَخلُقُه انزِياحُ الجُملَةِ عَن نَسَقِها المعيَارِيّ النَّحوِيّ مِن خِلالِ بُؤرَةِ التَّوتُّرِ الشِّعرِيّ كَالتَّقدِيمِ والتأخِيرِ والاعتِراضِ والفَصلِ وَالفَصلِ.... وَغَيرِها، وَكَذلك نَقرأ التَّركِيبَ البَلاغِيّ (الصُّورَةَ الشِّعرِيَّة) بِاعتِبارِهِ يَتوَازَى مَعَ التَّركِيبِ النَّحوِيّ))[٣١]، لأنَّ جُمَلَ النَّص تُؤدِّي الوَظِيفَةَ الشِّعرِيَّةَ دَاخِلَ سِياقِ النَّصّ، وَهِيَ غَيرُ الوَظِيفَةِ التَّوصِيلِيَّةِ التي تُؤدِّيهَا جُمَلُ النِّظامِ وِفقَ المَعَايِيرِ النَّحوِيَّةِ واللُّغوِيَّةِ، فَجُمَلَ النِّظامِ يَتِمُّ تَولِيدُها بِوسَاطَةِ القَواعِدِ المُهَيمِنَةِ لِنِظامٍ لُغَوِيّ مُعيَّنٍ لِتأدِيةِ وَظِيفَةِ الإفهَامِ مِن دُونِ تَركِ أثَرٍ جَمَالِيّ فِي المُتلَقِّي[٣٢].

---

٢٩ . ينظر: حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، حسن الغرفي (إفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠١)، ص٨٤.

٣٠ . العقد الفريد، مج١، ص٢٠٧.

٣١ . البنية التركيبية في الخطاب الشعري، د.يوسف اسماعيل (منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٢)، ص٥-٦.

٣٢ . ينظر: المصدر نفسه، ص٩-١١.

وَهُناكَ أسَاليبُ كَثيرَةٌ يَلجَأ إلَيهَا الشَّاعِر لِخَلقِ لُغَتِه الشِّعريَّة وَتَركِ الأثَرِ الجَمالِيّ، منهَا تَغييرُ المَواقِعِ التي حُدِّدَت للوَحدَات المُعجَميَّة دَاخِلَ جُمَل النِّظامِ اللُّغويّ المعياريّ وَتُمليه عَليه، وَإعَادَة تَرتيبهَا في جُمَلٍ شعريَّة وفقَ مَا تُفرضُه عَليه التَّجربَة الشِّعريَّةُ والبُنيَة الدَّلاليَّة، وَعَليه فإنَّ مَوقِعَ الوَحدَة المُعجَميَّة في الجُملَة مَحكُومٌ بِعَلاقةٍ نَحويَّةٍ/ دَلاليَّة، وإنَّ أيَّ تَغييرٍ في مَواقعها سَيُؤدِّي إلَى إنتَاجِ دَلالَةٍ جَديدَةٍ تُغني الدَّلالَةَ الأُولَى[٣٣]، وَهيَ الدَّلالَة الشِّعريَّةُ المَنشُودَة عندَ الخَطيبِ الجَاهليّ لِتَحقيقِ قَدرٍ منَ الشِّعريَّة في خُطَبِه.

وَلهذَا التَّلاعُب بالبُنَى اللُّغويَّة مَقاصدُ لَدَى المُنتِجِ يُحقِّقُ بِهَا وَظَائفَ دَلاليَّةً وَصَوتيَة، أمَّا الوَظيفَةُ الدَّلاليَّة فَهيَ المَعاني التي أوجَبَها تَقديمُ العَناصرِ اللُّغويَّة أو تَأخيرُها، وَلَم يُوجِبهَا عَامِل صَوتيّ ظَاهِر، والمَعاني المَقصُودَة هيَ طَاقاتٌ تَعبيريَّةٌ جَديدَةٌ تَلحَقُ المَعانيَ الظَّاهرةَ فَتَزيدُها دقَّةً وَتأكيداً، وَمن هَذا البَاب يَشتَرطُ أبُو هِلالٍ العَسكَريّ (ت هـ)في حُسنِ النَّظمِ أنْ تَأتي الدَّوالُّ المُكوِّنةُ لأيّ تَركيبٍ عَلَى النَّسقِ المَعهُودِ نَحويَّاً، وَلاَ يُستَعمَلُ فيهَا تَقديمٌ وتَأخيرٌ إلاّ بِشُروطٍ مُعيَّنةٍ، حَيثُ يَقولُ ((وَحُسنُ الرَّصفِ أنْ تُوضَعَ الألفَاظُ في مَواضعِها، وَتُمكَّنَ في أمَاكنِها، وَلاَ يُستَعمَل فيهَا التَّقديمُ والتَّأخيرُ، والحَذفُ والزِّيادَةُ إلاَّ حَذفاً يُفسدُ الكَلامَ، وَلاَ يُعمي المَعنَى، وَتُضَمُّ كُلُّ لَفظَةٍ منهَا إلَى شَكلِها، وَتُضافُ إلَى لِفقِهَا))[٣٤]، وَسُوء الرَّصف للوَحدات اللُّغويَّة في البناءِ التَّركيبيّ في نَظَرِه تَقديمُ مَا يَنبَغي تَأخيرُهُ منهَا وَصَرفُها عَن وُجوهِهَا وَمُخَالَفَةُ الاستعمالِ في نَظمِهَا[٣٥].

وَمن الوَظائفِ التي يُؤدِّيهَا التَّقديمُ والتَأخيرُ التَّخصيصُ في الكَلامِ، ويَحصُلُ بِتَقديمِ الجَارّ وَالمَجرورِ في خُطبَة (هَاشِم بن عَبدمَنافٍ) في قَولِه ((لَنا ذَروَةُ الحَسَبِ وَمَعدنُ المَجدِ، وَلِكُلّ حِلفٌ يَجِب عَلَيهِ نُصرَتُهُ، وَإجَادةُ دَعوَتِه إلاّ مَا دَعَا إلَى عُقوقِ عَشيرَةٍ، وَقَطعِ رَحِمٍ...))[٣٦].

فِي هَذا الكَلامِ خَصَّص هَاشِم قَومَه بِذَروَة الحَسَبِ الرَّفيعِ بِتَقديمِ الجَارِّ والمَجرورِ (لَنَا) عَلَى الجُملَتين، وَأصلُ رُتبَتِه بالنِّسبَةِ إلَى الجُملَتَينِ التَّاخيرُ عَلَيهما، أي يَأتي شبهُ الجُملَةِ بَعدَ الجُملَةِ المَعطوفَةِ في الكَلامِ العَاديّ، لَكِن هُنَا لِغَرَضِ التَّخصيصِ تَقدَّمَ عَلَيهما لِيَسندَ ذَروَةَ الحَسَبِ لَهُم.

وَفي خُطبَةِ (الحَارث بن ظَالِم المُرِّي) أمَامَ كِسرَى، تَقدَّمَ خَبَرُ (إنَّ) عَلَى اسمِهَا لِغَرضِ العنايَةِ والاهتمامِ، حَيثُ قالَ ((إنَّ من آفَةِ المَنطقِ الكَذبَ، وَمن لُؤمِ الأخلاَقِ المَلَقَ، وَمن خَطَلِ الرَّأيِ خِفةَ المَلِك المُتَسلِّط...))[٣٧].

مِثلُ هَذا التَّقديمِ يُعدُّ انزياحاً عَن قَواعدِ النَّحوِ الثَّابتَة لِلكَلامِ العَادي، لأنَّ المَعنَى يَتحكَّمُ بِتَرتيبِ الألفَاظِ وَلَيسَ النَّحو، وَقَد أُدرِجَ هَذَا تَحتَ بَابِ الرُّتَبِ المَحفُوظَة وَغَيرِ المَحفُوظَة، فَكُلُّ خَلَل في الرُّتبَة المَحفُوظَة يُؤدِّي إلَى خَلَل في اللُّغة بِسَببِ ثَباتِهَا وَحِفظِهَا لِتَرتيبِهَا كَمَا يَرَى د.تَمَّام حسَّان، وَأنَّ النُّحَّاة حَدَّدُواالرُّتبَةَ في الكَلامِ وَجَعلُوهَا مَحفُوظَةً وَغيرَ مَحفُوظةٍ، وقَد ارتَضَى عُلَماءُ المَعاني هَذا التَّقسيمَ وَتَجنبُّوا الكَلامَ في الرُّتبَة المَحفُوظة لأنَّهَا لَيسَت فطنَةَ اختلاف الأسَاليبِ بِسبَبِ حِفظِهَا وَثَبات وَضعِهَا، وَعَمَدوا إلَى الرُّتبَةِ غَيرِ المَحفُوظةِ فَمَنحُوها دِرَاسةً أُسلُوبيَّة مُهِمَّة تَحتَ عُنوانِ التَّقديمِ والتَّأخير[٣٨].

وَمَظهَر آخَرُ اقتَرَضهُ النَّثرُ منَ الشِّعرِ لِرَفعِ لُغَتِه الأدَبيَّة إلَى مُستَوى أعلَى وَتحقيقِ جَماليَّة أكثَر هُو إطَالةُ بِناء الجُملَة، فَمن المَعروفِ أنَّ النَّص الأدَبيَّ القَديمَ بِشعرِه ونَثرِه كَانَ أميلَ إلَى بِناءِ جُمَل قَصيرَة والاكتفاء بِالعُمَد أو إشرَاك وَسيلَةٍ وَاحدَةٍ

٣٣ . قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة: محمد الوالي (دار توبقال، المغرب، ١٩٨٨)، ص١٥.

٣٤ . كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ترجمة: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (شركة أبناء شريف الأنصاري، صيدا–بيروت،٢٠٠٦)، ص١٤٧.

٣٥ . ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٣٦ . بلوغ الأرب، مج١، ص٣٢٢.

٣٧ . العقد الفريد، مج١، ص٢٧٧.

٣٨ . ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها (عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤)، ص٢٠٧.

للإطَالة، وَرُبَّما يَرجِعُ السَّببُ في هَذا إلَى إيصالِ المَعنَى بِسُهولةٍ وانعدامِ نَفَسٍ طَويلٍ لَدَى مُنتِجِ النَّص وبَداوَة الحَياة، وَيَتبيَّن هَذا بِمُجرَّد إلقَاء نَظرَةٍ سَريعةٍ عَلَى نُصوصِ الخُطبَةِ التي تَرجِعُ إلَى خُطباءَ جَاهِليِّين، مَثلاً يَقولُ (عَمرُو بنُ الشَّريد) في خُطبَةٍ لَه أمَامَ كِسرَى:

((أيُّها المَلِكُ، نَعِمَ بَالُكَ، وَدَامَ في السُّرورِ حَالُكَ، إنَّ عَاقِبةَ الأُمُورِ مُتَدبَّرةٌ، وَأشكَالُ الأُمورِ مُعتَبرَةٌ، وَفي كَثيرٍ ثِقلَةٌ، وَفي قَليلٍ بُلغَة،...))[٣٩].

نَرَى أنَّهُ يَكتَفي بِذكرِ الفعلِ والفَاعلِ في بِناءِ الجُملَةِ الفعليَّةِ أو يُشركُ شبهَ جُملةٍ مِنَ الجَارِّ والمَجرُور، وَفي الجُملَةِ الإسميَّة المَنسُوخة الابتداء يَذكُرُ اسمَ (إنَّ) وَخَبرَهَا مَعَ عُنصُرٍ إضَافي وَاحدٍ، وَفي الجُملَتينِ الأُخرَيينِ يَذكُر الخَبَر المُقدَّمَ (شبهَ الجُملة) مَعَ مُبتَدأ مُؤخَّرٍ، وَمِن المُلاحَظ أيَضاً أنَّ بَنيَةَ الكَلماتِ المُكوِّنة للجُمَل بَنيَةٌ قَصيرَةٌ صَرفياً، بِمَعنَى أنَّهَا ثُلاثيَّة أو رُباعيَّةٌ في كَثيرٍ منهَا، وَهَذا هُو الطَّابَع الغَالبُ عَلَى بَاقي النُّصوص.

أمَّا هَذا البِناءُ فَلاَ يَبقَى هَكذَا، فَقد تَتخلَّلهُ جُمَلٌ طَويلَةٌ أحياناً تَحتَوي عَناصرَ كَثيرَةً باستخدامِ الوَسائلِ التي يُتيحُها النِّظامُ اللُّغَوي لإطَالة الجُملَة منَ العَطف والحَال وشبه الجُملة وحُروف النَّفي وأدوَات الشَّرط، وَلاَشكَّ أنَّ هَذه الإطَالةَ تَقفُ وَراءَها أغراضٌ جَماليَّة وَدَلاليَّة، وَهذه التَّقنيَةُ كَانَت مَوجُودةً لَدَى الشُّعراء قَبلَ النَّاثرينَ، يَقولُ د.مُحمَّد حَماسَة عَبدُاللطيف ((ممَّا يَستَلفت النَّظرَ في بِناء الشِّعرِ القَديمِ، أنَّ الشَّاعرَ عندَما يَلجَأ إلى التَّصويرِ، فإنَّ بِناءَ الجُملَة يَعمَد في الوَقتِ نَفسه إلَى التَّداخُل، فَتطولُ الجُملَةُ الوَاحدةُ طُولاً يَستَغرِق عِدَّة أبياتٍ في القَصيدَة. وَغالباً مَا تَكونُ هَذه الجُملَة الطَّويلَةُ في القَصيدَة هي الصُّورةَ الشِّعريَّة الكُبرَى))[٤٠].

وَتُعدُّ الجُملَة قَصيرَةً إذَا وَردَ فيهَا العُنصُران الأسَاسيَّان فَحَسب، فالجُملةُ الاسميَّة تَتكوَّن منَ المُبتَدأ والخَبَر المُفرَد، والجُملَةُ الفعليَّةُ منَ الفعلِ والفَاعل، وَمَا عَدَا ذَلك وَسائلُ مُتعدِّدةٌ لإطَالة بنائها كالمَعمولات للأفعَال والنُّعوت للأسمَاء والعَطف والتَّوكيد لَهُما، وَهَذه الوَسائل لاَتُحصَر في الجُملَة، أي لَيسَ هُناكَ طُولٌ مُحدَّد للجُملَة كَمَا أنَّ لَهَا حَدّاً في القِصَر[٤١]، وهَذه الإطَالَة تَكونُ لدَواعي دَلاليَّةٍ أو جَماليَّة، كَمَا وَرد في خُطبَة (عَلقَمَة بنِ عُلاثَة العَامريّ) أمَامَ كِسرَى:

((إنَّا وَإنْ كَانَت المَحَبَّة أحضَرتنَا، وَالوِفَادَةُ قَرَّبَتنَا، فَلَيسَ مَن حَضَرَكَ منَّا بِأفضَلَ ممَّن عَزَبَ عَنكَ، بَلْ لَو قستَ كُلَّ رَجُلٍ منهُم وَعَلمتَ منهُم مَا عَلمنَا، لَوَجَدتَ لَهُ في آبَائه دُنياً أندَاداً وَأكفَاءً، كُلُّهُم إلَى الفَضلِ مَنسُوبٌ، وَبِالشَّرف وَالسُّؤدُد مَوصُوفٌ، وَبِالرَّأي الفَاضل والأدَب النَّافذ مَعرُوفٌ....))[٤٢].

جُمَل هَذَا النَّص أُطيلَت من عِدَّة جَوانبَ، من جَانبٍ وَردَت جُملٌ شرطيَّة مُكوَّنةٌ من فعلِ الشَّرط وَجَوابه، وَلَم يُكتَفَ بِفعلِ الشَّرط فَحَسب، بَل وَردَ الفعلُ والفَاعل والمَفعولُ بِه المُضاف مَع مُتَعلِّق، ثُمَّ عُطفت جُملةٌ طَويلَةٌ أُخرَى عَلَى فعلِ الشَّرط قَبلَ مَجيء الجَواب، ثُمَّ وَرَد الجَوابُ مَوصوفاً بِصفاتٍ مَعَ مُتعَلِّقاتٍ وَبَدلٍ وَمَعطُوف، لذَلكَ لاَ نَستطيعُ أن نَقولَ إنَّ النَّصَّ السَّابِقَ جُملةٌ طَويلَةٌ وَاحدةٌ بِحَيثُ لاَ يُمكنُ الوُقوفُ عَلَى أيِّ جُزءٍ منهَا يَتمُّ مَعَه المَعنَى، أي لاَ يَحسُن السُّكوتُ عَليهَا إلاَّ في آخرِ الجُملَة، وَلهذه الإطَالَة سَبَب دَلاليّ وآخَر جَماليّ، فَقد أرَادَ المُتكَلِّم إيصالَ فكرَةٍ مُفصَّلةٍ عَن شَرف العَرَب وَفضلِهم وَلاَ يُعبَّر عَن هَذا المَعنَى بِجُملةٍ قَصيرةٍ، والسَّبَب الجَماليّ هُو إيجَادُ تَوازٍ تَركيبيّ بَينَ جُمَلِ النَّص لِغَرضِ التَّأثيرِ في المُتلقِّي، ولاَ يَحصُل هَذا إلاَّ باستخدَامِ وَسائلَ مُتعدِّدةٍ من إطَالةِ بِناءِ الجُملة.

---

٣٩ . العقد الفريد، مج١، ص٢٧٢.

٤٠ . بناء الجملة العربية (دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣)، ص٣٦٩.

٤١ . المصدر نفسه، ص٦١ وما بعدها.

٤٢ . العقد الفريد، مج١، ص٢٧٣.

وَقَد يَلجأ الخَطيبُ إِلَى خَلق تَوازٍ تَركيبيّ بَينَ جُمل نَصِّه لِيُعوِّضَ بِه حرمَانهُ عَن الإيقَاعِ الخَارجِيّ الذي كَانَ يُعدُّ حَدّاً فَاصلاً مَعَ القَافيَة بَينَ النَّثرِ والشِّعرِ، وَهَذا التَّعويضُ جُزئيّ بِالنِّسبَة إِلَى النَّثرِ لاَ يَرتَقِي إِلَى مُستَوَى الوَزنِ فِي القَصيدَة ، لَكنَّه يُحقِّقُ جَانباً مِنَ الجَمالِ الفَنِّيّ الذي يَفتَقدُهُ النَّثرُ من مَظاهِرِ الشِّعريَّة، وَهَذا التَّوازي يَتحَقَّق بِطُرقٍ تَركِيبيَّة عَديدَة فِي بِناء الجُمَل، وَقَد وَرَد فِي خُطبَة (عَلقَمَة) المَذكُورَة مَا يُفيدُ ذَلكَ:

((نَهجَت لَكَ سُبُلُ الرَّشَاد، وَخَضعَت لَك رِقابُ العِباد، إنَّ لِلأقَاويلِ مَنَاهِجَ، ولِلآراء مَوَالِجَ، وللعَويص مَخَارِجَ، وَخَيرُ القَولِ أصدَقُهُ، وَأفضَلُ الطَّلَبِ أنجَحُهُ..))[٤٣].

البُنيةُ التَّركيبيَّة المُشتَركةُ بَينَ الجُملَتينِ الأُولَى والثَّانيَة هِي (الفعل+ تاء التأنيث+ جار ومجرو+ فاعل مضاف+ مضاف إليه) والفَاعلانِ وَردَا بِصيغَة جَمعِ تَكسير، والبُنيَةُ المُشتَركَة بَينَ الجُمَل الأُخرَى هِي (جار ومجرو مع اسم منصوب)، وَوُرودُ الاسمِ المَنصُوب عَلى صيغَة (مَفَاعل) وهُو مَمنُوعٌ مِنَ الصَّرف خَلَق تَوازياً صَرفياً بَينَ الكَلمات إِلَى جَانب التَّقابُل التَّركيبيّ، وَهَذه البُنيَةُ تُحقِّق نَمَطاً إيقاعيًّا تُعطي الكَلامَ خُصوصيَّة فَنيَّةً تَتَّسمُ بالانحرافَات الأُسلُوبيَّة وَتَزامُن الأشيَاء وَتَجاوُرِها ممَّا يُؤدِّي فِي تَزامُنِها إِلَى خَرقِ أنظمة اللُّغَة العَاديَّة، وَقَد تَحقَّق بَينَ الجُمَلِ المُتوَازيَة التَّوازي المُزدَوجُ بِهَذا الشَّكلِ مِنَ التَّرتيب، وَهوَ التَّوافُق بَينَهَا صَرفياً وتَركيبياً ودَلالياً، وَمَا يَتغيَّرُ مِنهَا هُو الأصوَاتُ وكَيفيَّة تآلُفِهَا[٤٤].

وهَذا النَّوعُ مِنَ التَّوازي يَكونُ بَينَ ثَابتٍ فِي قَاعدة الجُملَة ومُتغيِّر فِي ألفَاظِها، وإنْ كَانَ بَينَ مُفرَداتٍ مُتعدِّدةٍ بِصيغةٍ وَاحدةٍ لَكنَّ هَذا لاَ يُقلِّلُ مِن أثَرِه الجَمالي بَل يُعطِي سِمةً أُسلُوبيَّة أُخرَى لِهذَا النَّص، فَالثَّابتُ هُو صيغَة الفعل المَاضي المُسنَد إِلَى تَاء التَّأنيث، والمُتَغيِّر هُو لَفظُ الفعلِ الدَّالِّ عَلَى مَعنىً مُعيَّن، وَكَذلكَ الثَّابتُ فِي الأسمَاء صيغَة الجَمعِ والعَلامَة الإعرَابيَّة والمَحلُّ الذي تَشغَلُه الألفَاظُ، وَأخيراً تَكرَارُ صيغَة (أفعل) التَّفضيل فِي جُملَةٍ وَاحدةٍ وَتَكرارُ هَذه البُنيَة فِي جُملَةٍ مُجاورةٍ شكَّلَ تَوازياتٍ دَاخليَّةً بَينَ الألفَاظِ فِي جُملَةٍ وَاحدةٍ وَبينَ جُملَتَينِ فِي النَّص، وَهَذه السِّمةُ التَّركيبيَّة لُعبَةٌ جَماليَّة عِندَ المُتكلِّم.

المبحث الثالث
البِناءُ الدَّلالِيّ

المُستَوى الدَّلاليّ يَمتَلكُ فَعَّاليَّةً خَاصَّةً فِي النَّص لأنَّهُ حَصيلَةُ مَضمُون الوَحدَات اللُّغَويَّة المُكوِّنة للنَّص، وَتَحليلُ هَذه المُكوِّنات يَكونُ بالتَّفكيرِ فِي مَا لاَ يَدخُلُ فِي نِظامِ العَلامَة بَل مَا يُعبِّر عَنهُ وَيُوحي إِلَيه[٤٥]، وَبِبَيانِ العَلاقَة بَينَ الإشَارات (الكَلمات والرُّمُوز) والأفعَال الذِّهنيَّة والفيزيائيَّة التي تَستدعيهَا، وقَد عَدَّ بَعضُ البَاحثِينَ هَذَا مَعانيَ الإشَارات[٤٦].

وَهَذه الفَعَّاليَّة الخَاصَّة هِيَ التي تَسِم النُّصوصَ الأدبيَّة بِناءً عَلى العَلاقَات القَائمة بَينَ الوَحَدات اللُّغَويَّة، وهَذه العَلاقَاتُ مَعنَويَّة خَفيَّة مَبنيَّةٌ عَلَى طَبيعَة البُنيَة العَميقَة للنُّصوص، وَهِي بُنيَةٌ مُكَثَّفةٌ وَاسعةٌ تَرومُ الوَحَداتُ اللُّغويَّة الإحاطَةَ بِهَا وَتَأطيرَهَا فِي القَوالِب المَادِّيَّة المَنطُوقة أو المَكتُوبة، لأنَّ البُنيَةَ العَميقَة هِي الأسَاسُ الذِّهني لِمَعنىً مُعيَّن يُوجَدُ فِي ذِهنِ المُتكَلِّم

٤٣ . العقد الفريد، مج١، ص٢٧٣.

٤٤ . ينظر: أسلوبية البناء الشعري، دراسة أسلوبية لشعر سامي مهدي، أرشد علي محمد (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٩٩)، ص١١٣.

٤٥ . ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د.سعيد علوش (دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥)، ص٩٣–٩٤.

٤٦ . ينظر: معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي (التعاضدية العالمية، صفاقس–تونس، ١٩٨٦)، ص١٥٨.

وَيَرتَبطُ بِتَركيبٍ جُملِيّ أُصولِيّ، وَيَكونُ هَذَا التَّركيبُ رَفداً وَتَجسيداً لِلمَعنَى، وَمَا هِي البُنيَةُ السَّطحيَّة إلاَّ كَلاماً مَنطُوقاً أو مَكتُوباً مُكوَّناً من ألفَاظٍ تَرتَبطُ نَحوياً وِفقَ قَواعِدِ اللُّغة، ويُعبِّرُ عَن ذَلك المَعنَى الذِّهني المُجرَّد عِندَ المُتكَلِّم[٤٧].

وَالأدبيَّةُ تَنبَع من لُغة النَّص الخَاصَّة وَمَا تُحدثُهُ الإشَاراتُ من مُوحياتٍ لاَ تَظهَرُ في الكَلمات، وَلَكنَّها تَختَبِيء في مَساربِها، وَهَذه عَمليَّةٌ تُجاوزُ ظَاهرَ اللُّغة لسَبرِ بَواطنِهَا واستكشَاف تَركيبَاتها الخَفيَّة، لأنَّ النَّص في دَاخله يُفجِّرُ طَاقَات الإشَارات اللُّغويَة فيه، فَتَتَعمَّقُ ثُنائيَاتُ الإشَارات وَتَتحرَّك من دَاخل النصِّ لتُقيمَ لنَفسهَا مَجالاً تُفرزُ فيهَا مَخزُونَها الذي يُمكِّنهَا من أثَر انعكاسيّ يُؤسِّسُ للنَّصِّ بُنيَةً دَاخليَّة تَملكُ مُقوِّمات التَّفاعُل الدَّائم من حَيثُ إنَّهَا بُنيَةٌ ذَاتُ سِمةٍ شُموليَّة[٤٨]، وَأُولَى السِّمات اللُّغويَّة التي يَستَعينُ بِهَا الشَّاعر لتَحقيقِ أدَبيَّته وَتمييزِ لُغَته من اللُّغة العَاديَّة، وَيَقتَرضُ منهُ النَّثرُ هَذه السِّمَة للَّحاق بالشِّعر هِيَ تَكثيفُ اللُّغَة، حَيثُ تَتحوَّلُ الكَلماتُ إلَى إشَاراتٍ لاَ لتَدُلَّ عَلَى مَهنىً، وإنَّما لتُثيرَ في الذِّهن إشَاراتٍ أُخرَى وَتَجلبُ إلَى دَاخلِها صُوَراً لاَ يُمكنُ حَصرُها، وَذَلك عَبرَ أسَاليب التَّحوُّل الأُسلُوبيّ حيثُ يَنحَرفُ النَّص عَن مَعنَاهُ الحَقيقيّ إلَى مَعنَاهُ المَجَازِي[٤٩]، وَيَنعَكسُ هَذا التَّكوُّن الخَاصُّ للنَّص عَلَى لُغَته المُكوِّنة فَيَلجأ إلَى الحَذف والإطَالَة والتَّقديم والتَّأخير والاستبدَال وَتَقنيَّاتٍ أُسلُوبيَّة أُخرَى للإحَاطَة بِهَذه البُنيَة الدَّلاليَّة العَميقَة، وَحَصر عَناصرِها في التَّعابير المَادِّيَّة.

وَمن مَظاهر التَّكثيف الدَّلاليّ مَا وَرَد في نَصِّ خُطبَة (المُلبَّب بن عَوفٍ) في تَعزيَة سَلامَة ذي فَائشٍ في مَوت ابنه:

((أيُّهَا المَلك: إنَّ الدُّنيَا تَجُودُ لتَسلُب، وتُعطي لتَأخُذَ، وَتُجمعُ لتُشتِّت، وَتُحلي لتُمرَّ، وَتَزرَعُ الأحزَانَ في القُلُوب بِمَا تَفجَأ بِه من استردَاد المَوهُوب، وَكُلُّ مُصيبَةٍ تَخطَّأتْكَ جَلَلٌ مَا لَم تُدْنِ الأجَلَ، وَتَقطَعِ الأمَلَ، وَإنَّ حَادِثاً ألَمَّ بِكَ فاستَبَدَّ بِأقلِّكَ وَصَفَحَ عَن أكثَرِكَ، لَمِنْ أجَلِّ النِّعَمِ عَلَيكَ،.....))[٥٠].

لَجَأ الخَطيبُ في هَذا النَّصِّ إلَى جَمعِ كَلماتٍ مُتضَادَّة في عِباراتٍ مُتتَاليةٍ، ذَلك أنَّ المَقَامَ يَتطَلَّب ذَلكَ، فَالدُّنيَا هِي التي تَجمَعُ بَينَ الأضدَاد في إطارٍ ضَيِّقٍ تَجودُ عَلَى الإنسَان وَتُعطيه حِيناً، بَينَما تَسلُبُ منهُ وَتأخُذُ أشيَاءَ في الوَقت نَفسه، مَثلاً تُعطي المَكانَةَ الاجتماعيَّة والثَّروةَ والجَمالَ لَكنَّها تَأخُذُ منَ الإنسَان عُمُرهُ وَ وَقتَهُ، وتَهَبهُ الهَرَمَ والضُّعفَ بِمُرورِ الزَّمَن، مَظاهرُها حُلوَةٌ جَميلَةٌ لَكنَّها تُخفي المَرارَةَ خَلفَها، وَتَزرعُ الأحزَانَ في قُلوبِ البَشَر.

اجتَمَعَت هُنا كَلماتٌ ضمنَ حَقلٍ دَلاليّ سَلبِيّ وَأُخرَى تَنتَمي إلَى حَقلٍ إيجَابِيّ، فَـ(الجُودُ والعَطاءُ والجَمعُ والحَلاوَةُ والأمَلُ والنِّعَم) كُلُّها تَحملُ دَلالاتٍ إيجَابيَّةً خَارجَ النَّصِّ، لَكنَّها تَتحوَّلُ إلَى مَعانٍ سَلبيَّة بِمُجرَّد إقرَانها بِكَلماتٍ أُخرَى تُكوِّنُ مَعَها الجُمَل وهِيَ سَلبيَّةٌ، مثلَ (السَّلب والأخذ والتَّشتُّت والمَرارَة والأحزَان والمُصيبَة والأجَل).

وَمن نَاحيةٍ أُخرَى استعمالُ أفعَالٍ سَلبيَّةٍ غَير مَرغُوبٍ فيهَا مَعَ ألفَاظٍ إيجَابيَّة مُحبَّبةٍ تَصنَعُ كَسراً لأُفُق التَّوقُّع لَدَى المُتلَقِّي، مثلَما وَرَدَ في النَّص من فعل القَطع للأمَل، فالأمَلُ في نَفسه يَحملُ دَلالَة في غَايَة الإيجَاب، حَيثُ يُعطيالدَّيمُومَةَ في الحَياةِ والتَّفاؤلَ والاستمرَارَ، لَكنَّ مُصيبَةً مَا تَقطَعُ هَذَا الأمَل، وَهُنَا يُريدُ المُتكلِّم أن يُقلِّلَ من فعل تلكَ المُصيبَة مَا لَم تُؤَدِّ إلَى القَضَاء النِّهائيّ عَلَى الإنسَان، كَأنَّهُ يُريدُ أن يُفصحَ عَن حِكمَةٍ في الحَياة وَهِيَ أنَّ الدُّنيَا بَيتُ المَصائب وَالنَّوازل، لَكنَّ الإنسَانَ الصَّلبَ يَقفُ بِقُوَّة أمَامَ تلكَ المَصائب وَيَتخَطَّاهَا.

٤٧ . ينظر: تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه، صبري إبراهيم (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩)، ص٤٦٦.

٤٨ . ينظر: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، د. عبدالله محمد الغذامي (الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨)، ٢٤–٢٦.

٤٩ . ينظر: المصدر نفسه، ص٢٦–٢٧.

٥٠ . الأمالي، مج٢، ص١٠١.

وَظَاهرَة أُخرَى تُلحَظُ فِي هَذَا النَّص هِي وُرودُ كَلمةِ (جَلَل)، وهيَ مِنَ الأضدَادِ تَحمِلُ مَعنَى الصِّغَر والكِبَر أو العَظَمةِ والحَقَارَة[٥١] عَلَى المُستوَى المُعجَمِيّ، ويَتحدَّد مَعنَاهَا من خِلالِ تَعلُّقِها بِكَلماتٍ أُخرَى دَاخِلَ السِّياقِ اللُّغَويّ، وَهُنَا وَرَدت بِمَعنَى الصَّغيرِ أو الحَقيرِ، لأنَّ سِياقَ المَقَالِ يَدُلّ عَلَى ذَلك، فَكُلّ مُصيبَةٍ لَم تُدنِ الأجَلَ وَلَم تَقطَعِ الأمَلَ فَهِي صَغيرَةٌ وحَقيرَة فِي حَياةِ الإنسَان، وَفِي مُقابِلِ هَذَا إذَا أخَذَ أيُّ حَادثٍ مِن حَياةِ الإنسَانِ نَصيباً قَليلاً وَتَركَ لَهُ كَثيراً فَهوَ نِعمَةٌ لَه، لأنَّ الأمرَ إذَا وَقَع عَكسَ ذَلك يَكونُ أسوَأ.

من هُنَا تَتشكَّلُ ثُنائيَّة ضديَّة فِي هَذَا النَّص وَهِي الصِّراعُ بَينَ (البَقاء والزَّوال)، إذَا زَالَت القِلَّة وَبَقيَت الكَثرَةُ يَكونُ الإنسَانُ رَابحاً، وَتَندَرجُ ضمنَ طَرَفَيْ الثُّنائيَّة فِئاتٌ دَلاليَّة كَثيرَةٌ، كأنَّ النَّصَّ مُنقَسِم فِي بِنائِه الدَّلاليّ عَلَى شَطرَين، يَكونُ أحَد الشَّطرَين دالاّ عَلَى الإيجَاب والثَّاني عَلَى المَعَاني السَّلبيَّة، وَتُمثِّل (الدُّنيا) قُطبَ المَعَاني السَّلبيَّة وَتُشكِّلُ نَسقاً خَاصَّاً دَاخِلَ البُنيَة الدَّلاليَّة العَميقَة، حَيثُ تُسنَدُ إلَيهَا أفعَالُ السَّلب والأخْذ والتَّشتُّت وزَرعِ الأحزَانِ وجَرِّ المَصائِب، لَكِنْ فِي المُقابِلِ يُمثِّلُ (الأمَل) قُطباً مُصارِعاً لِلدُّنيَا، يُعطِي الإنسَانَ قُوَّة التَّصدِّي والصُّمود والنَّظَر إلَى البُعد بِحَيثُ يَخسَرُ الإنسَانُ أحيَاناً بَعضَ الأشيَاء الثَّمينَة، لَكنَّه يَحتَفِظ بِالنَّصيب الأوفَر، وَتُمثِّل الدُّنيَا قِمَّةَ الزَّوال والخَديعَة لأنَّها تَجودُ لِتَسلُبَ لاَ لِتَجودَ وَتُعطِي أشيَاءَ لِتأخُذَ أكثَرَ مِنهَا، وتُجمِع وَهوَ عَمَلٌ إيجَابِي لَكِنَّ جَمعَها للتَّشتُّت، وَهَذه خَديعَة، والزَّوالُ وَاضِح فِي كَونِ المَظَاهِر الدُّنيَويَّة لاتَدومُ أبَداً، أمَّا الأمَلُ فَهُو السِّرُّ الخَفِي وَرَاءَ صُمود الإنسَانِ فِي وَجه المَصائِب والاستمرارِ فِي الحَياة وإنْ خَسِرَ بَعضَ الأشيَاء فَهوَ يَمتَلِكُ أكثَرَ مِنهَا، وَهَذا عَمَل إيجَابِي يَنبَعُ مِنَ الشِّقِّ الأوَّل فِي البُنيَة الدَّلاليَّة وهوَ شِقُّ البَقَاء.

وَكَذلكَ بُنيَةُ الثُّنائيات التَّقابليَّةُ تَطغَى عَلَى خُطبَةِ (عَامِر بنِ الظَّرِب العُدواني) حِينَ أجَابَ عَلَى تَساؤلاتِ (حُمَمَةَ بنِ رَافِعٍ الدُّوسيّ) عِندَ أحدمُلوك حميَر، فسأله حُمَمةُ عَن أحقِّ النَّاسِ بِالمَقت، فأجَابَه عَامِرٌ فَقَالَ:

((الفَقيرُ المُختالُ والضَّعيفُ الصَّوالُ والعَيِّي القَوَّالُ))[٥٢], ثُمَّ يسألهُ عَن أكرَمِ النَّاسِ عُشرةً، فيُجيبُهُ: ((مَنْ إنْ قَرُب مَنحَ وإنْ بعُدَ مَدحَ وإنْ ظُلِم صَفحَ وإنْ ضُويقَ سَمحَ))[٥٣]، وعَلَى هَذا النَّمَطِ يُطيلُ الكَلامَ مُتَّخذاً من الثُّنائيات بِناءً دَلالياً لِنَصِّه، فيَلجأ إلى الثُّنائيةِ الضِّديَّة تارةً والتَّكامليَّة تارةً أخرَى، ويَجمَعُ صِفتَينِ ضِدَّين فِي شَخصٍ واحِدٍ لِبيانِ وَجهِ القُبحِ فيه.

هَذه البُنيَةُ الدَّلاليَّة الوَاسعَة تَجلَّت فِي جُمَلٍ قَليلةٍ فِي النَّص، ولَيسَت هَذه الجُمَل إلاَّ نَزراً يَسيراً بِالنِّسبَةِ إلَى المَعانِي الكَثيرَة التِي تَحملهَا واستَطاعَت أن تُحيطَ بِالبُنيَة الدَّلاليَّة من خِلالِ تَكثيفِها بِالفُنونِ البَلاغيَّة و المَظاهِر اللُّغويَّة، وهَذه السِّمَة تُقَرِّبهَا مِنَ الشِّعريَّة وَتَجعَل النَّص نَصَّاً أدَبياً رَفيعاً، بِهَذا يَتميَّز عَن النُّصوص العَاديَّة التِي يُنتجُها المُتكلِّم فِي التَّفاهُمِ اليَومي ويَقصدُ من وَرائِها الإفهَامَ والإيصَالَ ولَيس القَصدُ مِنهُ الإيحَاء والأدبيَّة، لِذلكَ نِسبَةُ الانزِياحِ مُرتَفِعةٌ فِي هَذه النُّصوص مَع انتِمائِه إلَى النَّثرِ، بِخِلافِ انخِفاضِها فِي اللُّغة التَّفاهُميَّة.

٥١ . ينظر: مادة (ج ل ل) لسان العرب، ابن منظور (دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣)، مج٣، ص١٨٢–١٨٣.

٥٢ . جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت (المكتبة العلمية– بيروت،٢٠١٠)، مج١، ص٥.

٥٣ . المصدر نفسه، ص٦.

استنتاجات

١ـ لَم يَرتَقِ النَّـثرُ إلَى مَنزِلَة الشِّعرِ في نَظَرِ القُدمَاءِ مَهمَا حَقَّقَ من سماتٍ فَنيَّةٍ وَجَماليَّـة فـي نُصوصـه، ذَلـك أنَّ الشِّـعرَ كَانَ مُفضَّلاً لمُجرَّد إطلاَقِ لَفظِ الشِّعرِ عَلَيه، لذَلكَ حَاولَ النَّاثرونَ اتِّباعَ الشُّعرَاءِ فـي تَقنيَّـاتهمُ التَّعبيريَّـة وَخَصائصـهم الأُسـلُوبيَّة، واقتَرضُوا منهُم مَا يُلائِمَ طَبيعَة الجِنسِ البَشَري.

٢ـ الخُطبَةُ في الجَاهليَّة كَانَت قَرينَةَ الشِّعرِ وَأكثَر الأنواعِ النَّثريَّة لُجُـوءاً إلَـى الفُنُـونِ البَلاغيَّـة وَالمَظـاهِر الجَماليَّـة، لـذَلك حَاولَ الخُطَباءُ الاقترَابَ من أُسلُوب الشُّعرَاءِ أكثَرَ من غَيرِهم منَ النَّاثرينَ.

٣ـ اعتَمَد النَّثرُ عَلَى نِظَام صَوتيّ مَبنيّ عَلَى الإيقَاعِ الدَّاخليّ لِيُعوِّضَ بِهِ حرمَانَه عَن الـوَزنِ وَالقَافيَـة، فَقَـد اتَّخـذَ السَّـجعَ في نهايَاتِ الفَواصِلِ بَدلاً من القَافيَة، واعتَمَد عَلَى التَّكرَارِ والتَّوازي بَينَ الجُمَلِ، وَقَد أدَّى السَّـجْعُ الوَظيفَـةَ المُوسـيقيَّة التـي كَانَـت القَافيَة تُؤدِّيهَا في الشِّعر، وَجَسَّد التَّكرَارُ ظَاهِرَةً إيقَاعيَّـةً مُتَّـسقةً بحيثُ يَشعُرُ القَاريء بانتظامٍ صَوتيّ وَتَماسُكٍ عَلَى نَسَق مُعيَّن.

٤ـ يَتَمتَّع النَّثرُ بمُستَوىً مُتواضِعٍ من التَّلاعُبِ بالبُنَى اللُّغويَّة، كَتَقديمِ مَا حَقُّـه التَّـأخيرُ مـنَ الوَحَـداتِ اللُّغَويَّـة، أو كَسـرِ البُنيَةِ التَّركيبيَّة الأسَاسيَّة وَإضَافةِ عَنَاصرَ لُغَويَـة ذَاتِ تَـأثيرٍ جَمـالي وَدَلالـي، بَـل اكْتَفَـت نُصـوصُ الخُطبَـة بالإبقَـاء عَلَـى الجُمَـل القَصيرَةِ والبُنَى التَّركيبيَّة الأسَاسيَّة، وَأكثَرُ من ذَلكَ أنَّ بُنيَـةَ الكَلمـاتِ المُكوِّنـة للجُمَـلِ أيَضـاً قَصـيرَة صَـرفياً أكثرُهَـا ثُلاثيَّـة أو رُباعيَّة، لَكنْ في بَعضِ الأحيَان تَطولُ الجُملَـة لِتَحتَـويَ عَناصـرَ كَـثيرةً باسـتِخدَام وَسـائِلَ أُسـلُوبيَّة، وَذَلـكَ لِغَـرضٍ جَمـالي يَـراهُ الخَطيبُ ضَرورياً.

٥ـ تَتَحوَّل الكَلماتُ في نُصوصِ الخُطبَةِ الجَاهليَّة إلَى إشَاراتٍ لاَ لِتَدلَّ عَلَى مَعنىً وَإنَّما لِتُثيرَ في الـذِّهنِ إشَـاراتٍ أُخـرَى، وَتَجلِبَ إلَى دَاخِلِها صُوراً لاَ يُمكِنُ حَصرُها، وَيَحدُث هَذَا بِاستِخدَامِ التَّحوُّل الأُسلُوبيّ، حَيثُ يَنحَرف النَّص عَن مَعنَاهُ الحَقِيقيّ إلَى المَعنَى المَجازِي.

٦ـ يَلجَأ الخَطيبُ أحياناً إلَى التَّعبيرِ بالثُّنائيَّات الضِّدِّيَّة وَيُقسِّمُ نَصَّه عَلَى نَسَقينِ دَلاليِّينِ يُمثِّلانِ طَرَفَيْ الثُّنائيـة، حَيـثُ يَستَقطِبانِ كُلَّ المَعانِي المُتضَادّة في حُقولٍ دَلاليَّة مُرتَبطةٍ بِهما.

المصَادِر والمَرَاجع

ـ أسلوبية البناء الشعري، دراسة أسلوبية لشعر سامي مهدي، أرشد علي محمد (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٩٩).

ـ الأمالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الثاني، د.ت).

ـ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣).

ـ بلوغ أرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الآلوسي، تحقيق: محمد بهجة الأثري (دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الأول، ١٩٩٢).

ـ بناء الجملة العربية، د.محمد حماسة عبداللطيف، (دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣).

ـ بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، د.يوسف حسين بكار (دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨٢).

ـ البنية التركيبية في الخطاب الشعري، د.يوسف اسماعيل (منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠١٢).

ـ البيان والتبيين، تأليف: أبو عمرو الجاحظ، تحقيق: موفق شهاب الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨).

ـ تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه، صبري إبراهيم (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩).

ـ ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي (بحث في المشاكلة والاختلاف)، د.أحمد محمد ويس (منشورات وزارة الثقافة – سوريا، ٢٠٠٢، ضمن سلسلة الدراسات الأدبية).

ـ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت (المكتبة العلمية– بيروت، المجلد الأول، ٢٠١٠).

ـ حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، حسن الغرفي (إفريقيا الشرق، بيروت، ٢٠٠١).

ـ الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، د. عبدالله محمد الغذامي (الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨).

ـ سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م).

ـ العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث (دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،الطبعة الثالثة، المجلد الأول، ١٤٢٠–١٩٩٩).

ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (دار ومكتبة الهلال، بيروت، المجلد الأول، ١٩٩٦).

ـ في البنية الإيقاعية للشعر االعربي، د.كمال أبو ديب (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤).

ـ في الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د.محمد مفتاح، (المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء، ط٤، ١٩٩٢).

ـ قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، د.موسى ربابعة (دار الكندي للنشر والتوزيع ـ إربد, ٢٠٠١).

ـ قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، عبدالعزيز الموافي (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤).

ـ قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة: محمد الوالي (دار توبقال، المغرب، ١٩٨٨).

ـ كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ترجمة: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (شركة أبناء شريف الأنصاري، صيدا–بيروت،٢٠٠٦).

ـ لسان العرب، ابن منظور (دار صادر، بيروت، االمجلد الثالث، ٢٠٠٣).

ـ اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، (عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤).
ـ معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي (التعاضدية العالمية، صفاقس–تونس، ١٩٨٦).
ـ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د.سعيد علوش (دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥).
ـ النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د.زكي مبارك، ضبط وتقديم: عثمان غزال (دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠١٠).
ـ نسيج التكرار بين الجمالية والوظيفة في شعر الشهداء الجزائريين، د.عبداللطيف حني (مجلة علوم اللغة العربيو وآدابها، جامعة الوادي، الجزائر، العدد٤، مارس،٢٠١٢).
ـ نظرية الإبداع في النقد العربي القديم، عبدالقادر هني (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٩).
ـ النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله الغذامي (المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥).
ـ نقد الشعر، تأليف: قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: د.محمد عبدالمنعم خفاجي (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت).

ملخص

عنوان هذا البحث (شعرية الأسلوب النثري، الخطبة الجاهلية أنموذجا)، يبحث عن مظاهر الشعرية التي اقترضها النثر ليحقق بها الجمالية الأسلوبية، ذلك أن النثر منذ ظهور النقد الأدبي العربي لم يرتق إلى مستوى الشعر ولم يضاه مكانته، لأن العرب كانت تفضل الشعر عليه وتعتبره سجل تأريخها بل سجل ثقافتها وسر بقائها، لكن لم يحظ النثر بهذه المكانة وإن احتفى بعناصر جمالية كثيرة، ولم يبق أمام الناثرين سوى انتهاج منهج الشعراء والأخذ بأسلوبهم الجمالي ليحظوا بالقبول ويلحقوا بالشعراء، ويتجلى هذه السمة في مستويات النص الثلاثة، أي المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي.

پوختــه

ئەم توێژینەوەیە لەژێر ناونیشانی (شیعریەتی شێوازی پەخشان، وتاری سەردەمی جاهیلی بەنمونە) لەوە دەکۆڵێتەوە کە پەخشان هەوڵیداوە خۆی بگەیەنێتە ئاستی شیعر لەسەردەمی جاهیلیدا، چونکە هەمیشە لە پلەی دووەمدا لەدوا شیعروە هاتووە ئەگەرچی لە ڕووی هونەریەوە لە ئاستێکی بەرزیشدا بووبێت، بۆیە وتاربێژان هەوڵیانداوە تەکنیك و شێوازی شیعر بگوازنەوە بۆ پەخشان و هەرلەو میانەیەدا لەسەر هەرسێ ئاستی فۆنۆلۆژی ڕستە و سیمانتیکدا ئەو تەکنیکانەیان وەرگرتووە، یان هەوڵیاندا ئەلتەرناتیڤیان بۆ بدۆزنەوە لە بواری پەخشاندا، بۆ نمونە بەهۆی بێبەشبوون لە سەروا سەجعیان بەکارهێناوە، یان هەوڵیانداوە یاری بە پێکهاتە زمانیەکانی ناو ڕستە بکەن هەر بەوجۆرەی شاعیرێك دەیکات، یاخود پەنایان بردۆتە بەر چڕکردنەوەی مانا و دەربڕین بە کەمترین ڕستە بۆ زۆرترین مانا، ئەمانە و زۆر دیاردەی تر کە شیعر پێیان ناسراوە پەخشان لێی وەرگرتووە، بۆیە دەرێ بڵێین شیوازەکە بەشیعرکراو بووە و نزیك بووەتوە لێی بۆ بەرزکردنەوەی لایەنی هونەری.

Summary

This research titled (poetic prose style, the sermon in the pre-Islamic era model),Examines the stylistic techniques that borrowed prose from poetry to highlight the aesthetic level,And achieve more poetry, prose, because in that era was in second place after the hair,Preachers have tried to approach the poets in many ways .

At the voice and the music used in exchange for assonance rhyme, their scripts were built on repetition and parallelism compositional,And tried to attack from the semantic and moral texts to be more intense and capacity, where many meanings expressed verbally few